

برتراند راسل فيلسوف المجتمع العلمي
Bertrand Russell The Philosopher Of Scientific Community

ط.د. نغاز عبد الحق

مخبر الدراسات الفلسفية والأكيولوجية جامعة الجزائر 2

البريد الإلكتروني: abdelhaknaghaze@gmail.com

عبد العزيز بن يوسف

أستاذ التعليم العالي جامعة الجزائر 02

تاريخ النشر: 2024-11-09	تاريخ القبول: 2024-10-25	تاريخ الإرسال : 2022-04-22
-------------------------	--------------------------	----------------------------

ملخص:

تعتبر فلسفة العلوم أحد أكبر فروع الفلسفة وأكثرها تشعبا وعمق خاصة لطبيعة المواضيع التي تعالجها، ومن أهم اهتماماتها البالغة تلك القضايا التي تخص العلم وأثره على الإنسانية وهي النقطة التي عالجها الفيلسوف الإنجليزي برتراند راسل محاولا الكشف عن كل ما يخص المجتمع العلمي وعن الآثار التي بالإمكان أن تنجم عن تطبيق التقنية والتطور التكنولوجي في حياة إنسان ما بعد العلم، لذا ارتكزت ورقتنا البحثية هذه على ذكر أهم ما عرضه راسل فيما يخص المجتمع العلمي، مع تبيان موقفه من الحركة التي حصلت في الحياة الاجتماعية ومدى إمكانية أن يكون لهذه التغيرات العلمية أي أهداف إيجابية مستقبلا على الإنسانية .

الكلمات المفتاحية: برتراند راسل، فلسفة العلوم، المجتمع العلمي، الصراع، العلم، الدين، الإنسانية، المستقبل، الحكومة العالمية

Abstract :

The philosophy of science is considered one of the largest branches of philosophy and the most complex and deep, especially those topics that deal with issues related to science and its impact on humanity, and this is the point addressed by the English philosopher Bertrand Russell, trying to uncover everything related to the scientific community and about the effects that could result from The application of technology and technological development in the life of a post-science human, so our research paper is based on mentioning the most important presentation of Russell regarding the scientific community, with an explanation of his position on the movement that took place in social life and the extent to which these scientific changes could have any positive goals in the future. On humanity.

Keywords: Bertrand Russell, Philosophy of Science, Scientific Society, Conflict, Science, Religion, Humanism, the Future, World Government.

مقدمة:

تعتبر فلسفة راسل من أعظم فلسفات القرن العشرين خاصة لما لهذا الرجل من نظرة ثاقبة للحقيقة و للعلم ولأوضاع الحياة الإنسانية في مختلف ميادينها السياسية و الاقتصادية و الدينية، لذلك نجد أن أهم التساؤلات التي شغلت فيلسوف مثل راسل هي تلك التي تتعلق بالمجتمع المعاصر خاصة بعد الخطوة الباهرة التي حققها العلم و التي أخرجت المجتمع الإنساني من نمطيته المعتادة ليدخل عالم التنافس والهيمنة، وأمام هذا المنعرج الذي حدث في حياة الإنسان الجديد تولدت تساؤلات جديدة في ذهن راسل تخص مسألة العلم وأفاقه على المجتمع البشري مع توضيح مدى إمكانية أن يكون ما حققه العلم قابل للصواب أو ممكن الخطأ، لأن الغاية الأولى من كل مجهود علمي أو تربوي هي البحث عن عالم أفضل للإنسانية سواء في الزمن الحاضر أو في المستقبل .

يتناول البحث إشكالية أساسية وهي: ما قيمة ما قدمه العلم للإنسان الحديث وهل حقق المجتمع العلمي الاستقرار الذي كان ينشده من وراء التطورات التي أحدثتها الكشوفات المختلفة؟
أهداف البحث: كان لهذه الورقة البحثية أهداف متعددة
ولأن هذا العمل يهدف إلى عرض نتائج العلم على الصعيد الاجتماعي ومدى قابلية أن يصبح أداة في خدمة الإنسانية جمعاء.

ثانيا تبين مدى قدرة البشرية على بناء مستقبل واضح يكون العلم أساسه الأول.

ثالثا عرض الأهمية التي تمتاز بها فرضية الحكومة العالمية في فلسفة راسل.

رابعا أردت من خلال هذا المقال أن أبين للقارئ مدى وجود فلسفة إنسانية ومواقف نبيلة للفيلسوف برتراند راسل.

منهجية البحث: اتبعت في هذا البحث الأسلوب التحليلي الاستقرائي من أجل تتبع مسراه الفكري وتحليل أكثر النقاط التي طرحها راسل بخصوص كل قضايا الإنسان والعلم.

1- برتراند راسل الشخصية العلمية :

1-1 حياته ومشواره العلمي والفلسفي: برتراند أرثر وليام راسل 1872-1970 هو واحد من أكبر فلاسفة القرن العشرين ويرجع سبب شهرته التي بلغت مصاف العالمية إلى إنجازاته في المجال الفلسفي والعلمي وخاصة تلك المواقف التي عرفت عنه في قضايا المجتمع المعاصر و في الأخلاق و السياسية، ظل راسل من الشخصيات المألوفة و الذكية على مدى 90 عام التي عاشها فكان يظهر أحيانا في الجرائد والكتب بنظرة نقد وأحيانا بنظرة احترام وتقدير فقد أثارة شخصيته السخط و أحيانا الرفض نظرا لما عرف عنه من دفاع عن الحرية والفردانية، ولد راسل في أسرة شهيرة ذات مكانة علمية و سياسية فذة

عرفت بنضالها المتواصل ضد الأنظمة الفاسدة خاصة جده جون راسل الذي كان من بين منتقدي الحكم في بريطانيا.¹

كانت طفولته موحشة على الرغم من أن لديه مربيات ألمانيات وسويسريات هذا ما جعله يتحدث الألمانية مبكرا وبطلاقة تماثل تميزه في الإنجليزية، لكن مع دخوله مرحلة البلوغ بدأت عزلته الفكرية و العاطفية تزداد ألما وحوله مجموعة من كبار السن الذين غمروا منزله بالمعلمين المختصين على الرغم من ذلك كان لما يقرأه من كتب الرياضيات والطبيعة يجعله يشعر بالكثير من التحسن. وفي سن 11 سنة بدأ يتعلم الهندسة وهو ما أعجب به راسل وقال إنها كانت تجربة لم يعيشها من قبل وهي اللحظة التي بدأ يطلع فيها على الهندسة الإقليدية حيث صرح قائلا " إنها أول مرة يتبادر إلى ذهني أنني أمتلك قدرا من الذكاء ".

في عام 1888 التحق راسل بمدرسة داخلية للجيش حيث تحصل هناك على منحة لدخول كلية تريتيني وكان التحاقه عام 1890 لدراسة الرياضيات التي أعجب بها هذا الغلام أشد الإعجاب وكان قد اطلع على أوراق إجابته التي ألحقته بالمنحة الدراسية لكامبردج ألفريد نورث وايتهد الذي تعاون معه فيما بعد في كتابة مؤلفه الشهير " مبادئ الرياضيات " ².

في أول ثلاثة سنوات أمضاها راسل في الكلية درس الرياضيات، وفي السنة الرابعة توجه إلى دراسة الفلسفة وقد كان تلميذا لمفكرين وفلاسفة كبار أمثال هنري سيد جويك وجيمس وارد، وجي إف ستاوت وكان الفيلسوف الذي يعتنق الهيجيلية جيه إم إي ماك تاجارت في ذلك الحين محبوبا محترما من الطلاب في كامبردج وهو الذي دفع راسل إلى اعتبار أن الفلسفة التجريبية البريطانية – والتي كان يمثلها " لوك و هيوم ومل " فلسفة غير مكتملة إذ شجعه على أن يتجه صوب الفلسفة الكانطية والهيجيلية، كان راسل من المتفوقين في امتحانات الرياضيات بكامبردج لعام 1893 وصنف مع مرتبة الشرف في امتحانات العلوم الأخلاقية " ترايبوز " وكانت هذه التسمية تطلق على العلوم مثل " الفلسفة والاقتصاد ".

ظهر خلاف راسل مع عائلته في سن مبكرة حول دراسة الفلسفة فقد كانت العائلة غير راضية عن هذا الاتجاه الذي رغبه، وعملت الأسرة كل ما في وسعها لتثنيه عن ذلك فكانت تسخر منه كل مرة مرددة العبارة التالية "what is mind ? No matter . What is matter ? Never mind " و ضاق الغلام ذرعا بهذا التهمك الذي هو ضد ميوله واستعداداته وأصبح يتشوق الى اليوم الذي يتحرر فيه من جحيم هذا البيت.³

2.1 الفيلسوف يتمرد على واقعه: تمرد راسل على البيئة التي شب فيها ودمغها بحكمه القاسي عليها بأنها بيئة مريضة جشعة تشجع نوعا من الأخلاق إلى حد يصل فيه المرء إلى إصابة الذكاء بالشلل فكانت العائلة تصر على أن يستحم الغلام بالماء البارد مدار السنة وتفرض عليه التمرين اليومي على البيانو لمدة

نصف ساعة في كل صباح ابتداء من الساعة السابعة والنصف في حجرة باردة دون تدفئة ثم تفرض عليه الاشتراك في الصلاة مع العائلة في أوقات لا تتغير قط.⁴

لا شك في أن ثورته كفيلسوف على التقاليد وقواعد الأخلاق السائدة في المجتمع الفيكتوري المتزمت لم تتجاوز بحال من الأحوال حدود الفكر إلى مجالات العمل. والدليل على ذلك ما كتبه راسل في عام 1932 في مقال يحمل عنوان " في مدح الكسل ": "لقد نشأت شأني في ذلك شأن معظم الجيل الذي أنتهي إليه على المثل القائل " اليد الباطلة نجسة " ، ولما كنت طفلاً يتحلى بأسى الفضائل ، كنت أصدق كل ما كان يقال لي واكتسبت ضميراً مازال يدفعني إلى العمل الشاق حتى اللحظة الراهنة ولكن على الرغم من أن ضميري لا يزال يسيطر على أفعالي إلا أن رأيي قد اجتاحتها ثورة.⁵ بعد أن خرج الغلام من جو الأسرة التي وصفها بالجشع واتجه صوب الجامعة غمرته سعادة عارمة واستبدت به نشوة جارفة فقد أعش الجو الجامعي روحه منذ اليوم الأول .

بمجرد أن تخرج راسل من الجامعة غمره شعور بالاشمئزاز من الأسلوب المتبع في امتحانات الرياضيات فيها لدرجة أنه اقتنع بأن هذا العلم لا يعدوا أن يكون ضرباً من الأحاجي والألغاز يتطلب تفوق فيه مهارة في التملص والمراوغة وأقسم راسل بينه وبين نفسه ألا يفتح كتاباً في الرياضيات وقام ببيع كل كتب الرياضيات التي بحوزته وبدأ يتجه باهتماماته شطر الفلسفة فقد أحس أن دراسة الرياضيات قد خذلت أحلامه

3.1- مساره الفكري: قسم راسل تطوره الفلسفي إلى مراحل مختلفة وفقاً لما صادفه من مشاكل ومن تأثر بهم من مفكرين يؤكد راسل أن اهتمامه كان منصبا على مشكلة واحدة وهي، أن يكتشف إلى حد يجوز القول بأننا نعرف وما درجة اليقين أو الشك الذي قد نصادفه في مسارنا المعرفي.⁶ لقد بدأ راسل يفكر في المسائل الفلسفية في سن 15 من عمره وكان في تلك المرحلة قد أضمر كل شكوكه اللاهوتية ليس لكونه وجد في الدين طمأنينة فحسب، ولكن لأنه شعر بأن هذه الشكوك إذا ما أعلن عنها يتسبب له ذلك بالكثير من الألم وتجلب له السخرية والسخط.⁷

يشير راسل إلى أنه قد اعتنق في ما بين سنتي 1899/1900 الفلسفة الذرية المنطقية، وتكنيك " بيانو" في المنطق الرياضي وكان ذلك ثورة كبيرة، جعلت كل ما قام به من قبل غير متصل وبرز لنا راسل أن أصل اهتمامه بالفلسفة يعود إلى مصدرين هما، أن يكتشف ما إذا كان في إمكان الفلسفة أن تقدم لنا دفاعاً عما نسميه بالعقيدة الدينية مهما كانت غامضة المعالم، ومن ناحية أخرى أن يقنع نفسه بأنه بالإمكان أن يعرف شيئاً في ميدان الرياضيات البحتة. وقد فكر راسل في هاتين المشكلتين كليهما أثناء فترة المراهقة لوحده ودون قراءة أي كتاب، أما فيما يختص بالدين فقد انتهى به الأمر إلى أن كفر أولاً بالحرية

ثم بخلود الروح وأخيرا بالله، أما بخصوص الرياضيات فإنه لم يهتدي فيها إلى شيء ويشير راسل إلى أنه على الرغم من ميله الشديد للفلسفة التجريبية فإنه لم يستطع أن يقتنع ببعض القضايا.

يذكر لنا راسل في كتابه فلسفتي كيف تطورت إلى أنه أثناء تكوينه الأكاديمي في كامبريدج قد تلقى فلسفة كانط وهيغل، إلى أنه وصديقه جي إي مور انتبيا معا إلى رفض كل هاتين الفلسفتين ويقول راسل " بالرغم من اتفاقنا (في الثورة) قد اختلفنا اختلافات هامة في الجانب الذي اهتم به كل منا فأنا كنت أكثر اهتماما منه ببعض الموضوعات المنطقية الخالصة وهو ما سميته (مبدأ العلاقات الخارجية) وأصبح لراسل بعد ذلك مشكلة جديدة تشغل باله لفترات متقطعة وهي علاقة الإدراك الحسي بالفيزياء وهنا تغيرت فلسفته بشكل جوهري كما يصفه لنا راسل فقد كان يعد الإدراك الحسي علاقة ثنائية بين الذات والموضوع ولكن تأثره برأي ويليام جيمس جعله يرى هذا الرأي باطلا.⁸

وفي حوالي سنة 1917 بدأت تشغل بال راسل مسألة فلسفية جديدة وهي علاقة اللغة بالوقائع ولهذه المشكلة شقان، أولهما خاص بمفردات اللغة وثانيهما، خاص ببنية اللغة ويشير راسل إلى أن هذه المشكلة قد تعرض إليها الفلسفة من قبله ولكن نظرتة إليها كانت مختلفة، إذ يعتبر راسل اللغة شيئا شفيفا أو وسيطا يقوم بيننا وبين الواقع نستخدمه بدون أن نعيه أي التفات منا.⁹ بعد أن تخلى راسل عن فلسفة كانط وهيغل أخذ يبحث عن حلول للمشكلات الفلسفية مستعينا بالتحليل وبهذا أصبح راسل مقتنعا بأن التقدم لا يتيسر إلا بالتحليل على الرغم من أن بعض الاتجاهات المعارضة تذهب إلى رأي مضاد فقد وجد راسل بأنه من خلال تحليل الفيزياء والإدراك الحسي تمكن من أن يجد حلا نهائيا لمشكلة العلاقة بين العقل والمادة.¹⁰

ولقد اهتدى راسل إلى أن كل من حوله قد أساء فهمه تقريبا إذ إن ما كان يسعى إليه هو قلب العملية الفلسفية التي كانت متبعة في الفلسفة ، منذ كانط فقد كان المتبع بين الفلاسفة ، أن يبدأو بالبحث في كيف نعرف، وينتقلوا فيما بعد لبحثوا في ماذا نعرف من الموضوعات وهنا يقول راسل " أنا أعتقد أن هذه الطريقة خطأ لأن علمنا بكيف نعرف ليس إلا قسما ضئيلا من علمنا بماذا نعرف وأعتقد أنها خطأ لسبب ثان، هو أنها تسبغ على عملية المعرفة أهمية كونية لا تستحقها بحال من الأحوال، وبناء على هذا فإنها تهنيء دارس الفلسفة لكي يعتقد أن للعقل نوعا من الامتياز على العالم غير العاقل أو أن العالم غير العاقل ليس إلا كابوسا يحلم به العقل في لحظاته غير الفلسفية هذه الوجهة من النظر غريبة على الصورة التي أتخيلها للعالم ". إذ يقبل راسل الرأي الناتج عن علم الفلك والجيولوجيا والذي يبدو بمقتضاه أن ليس في العالم ما يدل على وجود كائن عاقل إلا في نتفة ضئيلة من المكان، الذي هو زمان وأن عمليات التطور الكبرى سواء في السديم أو النجوم تجري وفق قوانين لا دخل للعقل فيها.¹¹

2- خصائص ومميزات المجتمع العلمي:

1.2- صراع العلم والدين «مجتمع ما قبل التقنية»: إن تاريخ الإنسانية جمعاء لا يكاد يخلو من صور الصراع أو النزاع ومن أكثرها شدة وطولا هو الذي نشب بين العلم والدين إذ يعتبر أكثر أنواعها فتكا على الرغم من وجود صور أخرى له كمثّل صراع الإنسان مع الطبيعة أو مع نظيره الإنسان، ولكن مع ذلك يبقى صراع العلم والدين أكثر ما جلب للبشرية الدمار والدموية خاصة في الفترة التي سبقت القرن 16 أو ما يسمى بعصر النهضة وهي الفترة التي مهدت لميلاد الحضارة الإنسانية بصورتها الجديدة.

إن حياة الفرد الاجتماعية لا تستقيم ولا تجد المعنى الحقيقي لوجودها إن لم يكن هناك ما تسعى إلى الوصول إليه وما تؤمن به أو بعبارة أخرى فإن الدين والعلم يشكلان أقوى المسائل وأكثرها انتشارا في حياة الإنسان ولا شك أن التاريخ الإنساني يبرز لنا الأسبقية التي عرفها الدين لأن له ضرورة سبقت ضرورة العلم الذي عاش عبر مساره مراحل متقطعة أخرت ظهوره بشكل وأصبح حتى مجيء القرن السادس عشر، وهذا التأخر كان سببه الأول والمباشر هو صراعه مع الدين الذي دام لزمان طويل فكان سعي الدين واضح للقضاء على أساليب العلم ونشاطه مما صعب الأمر أمام المعرفة العلمية التي لم تجد طريقها للإنسان فغاية العلم كانت جعل الإنسانية تتقدم نحو خطوات من شأنها أن تفتح المجال أمام فهم الطبيعة بالشكل الصحيح وأول اختلاف ولد الخلاف القائم بين الدين والعلم هو الطبيعة التي يتميز بها أحدهما، فالدين هو ظاهرة شديدة التعقيد إذا ما تمت مقارنته بالعلم نظرا لأن له من الناحية التاريخية ثلاثة وجوه حسب ما يعرضه راسل وهي الكنيسة والعقيدة ونظام الأخلاق الشخصية.¹²

إن الصراع الذي نشب بين العلم والدين كان معظمه مرتكزا حول التقليد والتجديد أو بين الأخذ بمرجعية العقيدة أو بمنطق التجربة والملاحظة الحسية، فالتضييق الذي قام به الدين على العلم غيب الفهم الحقيقي للعالم والذي ينتج عنه بمنظور راسل الفهم الصحيح للقيم الإنسانية فكل تعطيل للمعرفة العلمية هو تعطيل لمسار القيم، فلقد حاول رجال الدين واللاهوتيين دائما منع كل التصورات العلمية لدى العلماء من الانتشار لتبقى عقائدهم الفاسدة راسخة في عقول الناس متمسكة بعواطفهم، للدرجة التي جعلت من الإنسانية تتجرد من كل معاني الرحمة لتعتنق تفكيرا لا طالما وصفه راسل بأنه يعبر عن الشر والإنسانية.¹³

التصور الكلاسيكي للدين عمل على خلق ممارسات لا أخلاقية وهمجية كمثّل التضحية بالإنسان لغاية هي في نظرهم إرضاء الآلهة لينعم الجميع بالخير في المحاصيل ووفرت الماء وهي جوهر السعادة آنذاك عند الحضارات القديمة، كما لم تكن لدى اللاهوتيين في القرون الوسطى أي غاية للعلم في البحث عن القيم الأخلاقية السامية لأنها موجودة وبشكل مسبق في قلب كل إنسان بافتراضهم أن الله يزرع في

نفوسنا معنى الحق والصواب والطريقة الصحيحة للتمييز بينهما ولكن هذا هو ما رفضه راسل تماما لأن الإيمان بصوت الله داخلنا سيكون مختلف وسننظر للأفعال بما يتماشى مع عواطفنا فيصبح البعض مندفعاً للقتل والظلم مبرراً ذلك لنفسه بأنه يلبي صوت الله الذي في أعماقه وهذه كانت من أكثر الأفكار المؤذية التي زرعها الدين في مرحلة غاب فيها العلم لمدة زمنية طويلة.¹⁴

لقد كانت محاولة العلم في إخراج الإنسانية من سيطرة اللاهوت متواصلة عرف من خلالها العلم إخفاقات وانتصارات متعددة ومن أكبر الإخفاقات ضرراً تلك المتعلقة بالطب حيث مارس اللاهوت على الإنسان كل أشكال التعذيب وحشية معتبرا كل ألم نعيشه له سبب وحيد وهو تلك الأرواح الشريرة التي تسكننا نتيجة لأفعالنا واعتبارها عقاباً من الله وأن كل ما من شأنه أن يخرج الإنسان من دائرة الألم هو تجاوز لإرادة الله ومشيئته التي فرضها على الذين استحقوا ذلك، لكن صراع العلم مع الدين لا يزال مطروح إلى يومنا هذا وهو أشد مما سبق لأن خلفه أيديولوجيات وعقائد تولدت للقضاء على الإنسانية محتجة بأنها تسعى لخلق تغيير أفضل وهذا الصراع هو بين منظومات فكرية فلسفية واقتصادية مختلفة وصل بها الأمر لأن تعتبر نفسها عقائد يجب الإيمان والعمل بها حتى ولو كان ذلك بمنطق القوة الذي يسيطر اليوم على معظم علاقاتنا ومعاملاتنا.¹⁵

التأثيرات التي أحدثها العلم في نطاق الإنسانية متعددة ومختلفة بين ما هو سياسي واقتصادي وخاصة الأخلاقي، فقد لعب العلم دوراً كبيراً في إزالة ودحض الكثير من العادات والتقاليد الفاسدة التي سادت المجتمع الإنساني لمدة طويلة من الزمن، ولولا تلك الثورات التي قام بها العلم لما تحركت وتيرة هذه القيم ولما وجدت سبيلاً لتصبح جزءاً من المجتمع الإنساني الحديث، وبفعل التجاوزات التي أحدثها العلم في الغلاف الاجتماعي تم بناء كل التنظيمات السياسية والاقتصادية والتربوية التي نراها اليوم ونتفاخر بكون الإنسان مصدراً لها، من خلال الدراسة الأنثروبولوجية التي قام بها راسل أدرك حجم المعتقدات التي كانت سائدة قبل العلم والتي لم يكن لها أي أساس علمي تستند عليه بل كلها هي من بيئة اجتماعية يصفها بأنها غير متمدنة على الإطلاق، لقد كانت حياة الإنسان البدائي مملوءة بفكرة المحرمات والطابوهات الأخلاقية التي يعاقب كل من تجاوزها سواء دون وعي أو بإرادة منه، لقد عمل العلم على تبديد الكثير من الخرافات التي سادت الفكر الإنساني لعدة قرون فكان الخسوف والكسوف أول ظاهرتين طبيعيتين تخرجان من حيز الخرافات إلى نطاق العقل العلمي.¹⁶

انتصار الشعور الإنساني والقيم الأخلاقية الرفيعة كان بفعل العقلانية التي نشرها العلم خاصة بعد الثورة التي شنها على في عهد شارل الثاني والتي أنبأت بالنهاية الوشيكة لتلك التعاليم الأخلاقية الصارمة ومهدت الطريق لما نسميه التفكير المنطقي العاقل، لقد أثر العلم على منظورنا للإنسان في هذا

الكون لأن النظرة التي سبقت العلم كانت ضيقة الأفق تدين الإنسان أكثر مما تجازيه، فقد تصور دانتى أليغري في كتابه الكوميديا الإلهية أن الكون منظم وصغير بحيث وجدة لمعاقبة الخطيئة ومكافئة الحسنة، فالكون هو مكان مثل بيت دمي الأطفال وما الإنسان سوى لعبة صغيرة لها اهتمام بليغ من طرف مالكيها.¹⁷

في عالم ما قبل العلم ساد الاعتقاد بأن الإنسان لا يملك أي حرية في تنظيم هذا الكون أو تسييره وفهمه بل هو مجبر على أن يطبق كل ما يملأ عليه وألا تكون خاتمته تعاسة وألام متمثل في تلك الأمراض والأوبئة التي أصابت الإنسانية لفترات متتالية.

2.2 شروط المجتمع العلمي: لقد حدد برتراند راسل مجموعة من الشروط التي يستلزم توفرها حتى يكون المجتمع العلمي مستقر في حاضره ومستقبله، ومن أهمها التخلص من هاجس الحروب وتحقيق التوازن في النمو السكاني والعمل على تشكيل جهاز سياسي واحد ينظم كل العلاقات الراهنة وهو ما أسماه بالحكومة العالمية أو الدولة الكونية، الأمر الذي يسمح مستقبلا في زيادة الحرية الفردية ونشر روح التعاون بين الشعوب وفتح لغة الحوار المتمدن البعيد عن فكرة الحقد والكراهية والاستغلال التي شهدها التاريخ الإنساني على مر العصور السابقة والذي لم يعد على البشرية بأي نتائج إيجابية بل جلب معه الدمار والاستعباد وتراجع القيم الإنسانية، أما عن الشرط الثاني والذي يعتبر الأهم لأنه القادر على فتح فكرة العيش المشترك بين شعوب العالم على اختلاف لغاتها وأجناسها وهذا الشرط هو الاستقرار الذي يعرفه راسل بنفس مفهومه العلمي أي أنه عملية تحديد العوامل المتحركة في الاستقرار الاجتماعي كمثال تحديد عوامل استقرار الذرة التي لا تكون مفعلة إشعاعيا، هكذا هي صورة المجتمع العلمي يبقى على حال إيجابية وقادرة على استغلال الطرق العلمية والتقنية كلما ابتعد عن كل ما يحرك عاطفة الانفجار اللاإنساني بداخلها أي تلك العواطف السالبة في الاستدمار وفكرة الحكم المطلق بوسائل العلم وإنجازاته، و يذكر راسل أنهم أسباب خلق هذا الخلل في الاستقرار الاجتماعي لدى التجمع البشري العلمي وهي متعددة من بينها سوء استغلاله لخيرات الطبيعة وكيفية تسييرها بالعلم، حتى يجد نفسه قد استنزف المقدار الأكبر منها دون أن يدرك ذلك وفي هذه اللحظة ستعود البشرية لسابق عهدها أي العودة للصراع من أجل البقاء بعدما تم إنهاء كل سبل العيش الكريم.¹⁸

غير العلم من صورة المجتمع المعاصر وبالأخص من شكل الدولة وحتى المدينة فالحالة المعاصرة لهاذين المفهومين الأساسيين في حياة الإنسانية السياسية أصبحت تتميز بأنها ذات طابع علمي بحيث يشجع النظام السياسي على عملية البحث والتطور الصناعي الذي يخلق المجتمع الأمثل الذي بحث عنه أفلاطون و لكن ليس في صورته البعيدة عن الواقع بل إن نظرة راسل هي من صميم الحياة الإنسانية

ومن انشغالات المجتمع الحديث، ومما يزيد ثقة راسل في المجتمع الحديث أنه أصبح يبتعد بشكل تدريجي ومتسارع من تلك القيم الأخلاقية التي باتت فاسدة ولا عقلانية فالأخلاق العلمية أصبحت أرقى من تلك التي أسست لها التصورات والأيديولوجيات الدينية المختلفة فالمجتمع العلمي له نظرة فردية واجتماعية وأكبرها هي نظرته الإنسانية الغير عنصرية والتي لا ترتب البشر ولا تضع الطبقة بينهم بل تعمل على فتح المجال أمامي الجميع للمبادرة في بناء المستقبل الإنساني الأفضل.¹⁹

3.2 مستقبل المجتمع العلمي: في كتابه هل للإنسان مستقبل يقدم راسل تساءلا حول إمكانية ان تعيش البشرية شوطا أكبر مما عاشته خاصة مع الأوضاع التي شهدها خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية والتي أبحث تنبئ بنهاية وشيكة للعالم إذا لم يفتح الإنسان لغة الحوار والتعقل لتحل محل الانزلاق وراء العداء والكراهية.

يفترض راسل أن الإنسان العلمي لن يعيش طويلا إذا هو لم يضع حدا للفضى التي تحدث في العالم السياسي الراهن، وما يزيد سوء المستقبل البشري أن القوة أصبحت متفرقة بحيث أن للجميع نصيب منها وهذا ما يؤدي إلى الاستعمال اللاعقلاني فما الحل المناسب للتقليل من ذلك؟ إن الخروج من هذا المأزق هو بوضع كل القوة بيد سلطة واحدة متفردة بالتسيير السياسي لشؤون الشعوب وهي عبارة عن جهاز حكومي عالمي والذي يطلق عليه راسل الدولة الكونية أو الحكومة العالمية.²⁰

إن تحقيق السلام المستقبلي في المجتمع العلمي يكون من خلال فكرة الاقتناع بمعنى أن تقتنع كل الدول بأن تتنازل عن سلطتها العسكرية لجهاز واحد يسهر على التنظيم وهو الأعلم بكيفية استعمال القوة والتحكم فيها، ولا شك أن استعمالها ضرفي أي لغاية تنظيمية ليتوقف بمجرد أن تصبح الأمور مستقرة عكس الاستعمال الجنوني الذي أصبحنا نراه خاصة خلال الحربين العالميتين والذي أفضى إلى دخول العالم في حرب نووية حطمت معظم بنيته التحتية.²¹

وهناك مسألة أخرى ذات أهمية بالغة بالنسبة للمجتمع المعاصر أي الذي أصبح يمتاز بنظرته التقنية وهي أن يتم وضع قانون دولي من مؤسسة شرعية وقانون جنائي دولي يحاكم كل الذين يرتكبون جرائم في حق البشرية خاصة أولئك الذين يستغلون التطور العلمي والتكنولوجي في نشر عقائدهم وتصوراتهم السياسية والاقتصادية وحتى عقائدهم وأيديولوجياتهم المختلفة.

تحليل النتائج:

العلم خطوة ضرورية في بناء المجتمع الإنساني: استطاع العلم أن يحل أصعب القضايا العالقة في حياة البشرية من خلال فك حقيقة الكون، فبعد أن تمكن العلم من فهم تلك الحقائق التي كانت مختفية عن البشرية لوقت طويل فتح المجال أمام السؤال الأخلاقي من جديد لأن عدم قدرة الإنسان على

فهم العالم خاصة في فترة ما قبل العلم كان السبب الرئيسي في سيطرة الكثير من العقائد الفاسدة على المجتمع الإنساني.

كانت فلسفة راسل أكثر فلسفة إنسانية في القرن العشرين فقد كافح هذا الرجل طوال حياته من أجل أن يضع الحدود التي يجب على العلم ألا يتجاوزها وأكثرها ألا يتعدى الإنسانية بحيث لا يستعمل كوسيلة لفرض الهيمنة والقوة والاستغلال.

للعلم حسب راسل ضرورة قصوى ولكن يجب أن تكون هذه الضرورة مرتبطة لتلك القواعد والضوابط الأخلاقية التي يضعها العقل وهي مبادئ عامة لن تقيد العلم بل ستضعه في المستوى المطلوب وفي التوجه الذي وضع له منذ اللحظة الكوبرنيكية والغاليلية .

الخاتمة:

استخلصت في نهاية هذا البحث أن قضايا المجتمع الإنساني بتصور شيخ الفلاسفة راسل لا يمكن أن تنفصل عن بعضها البعض، وأن العلم هو أحد أكبر الركائز التي زودت البشرية بالفهم الصحيح للكون وللأخلاق، ومع ذلك فإن المجتمع الإنساني المثالي ليس هو ذلك الذي يقيد البحث العلمي بلغة المرفوض والمحرم بل هو المجتمع الذي يضمن سير العلم في وضعية تسمح له بخلق مفاهيم جديدة تتجاوز سلطان الفكر التقليدي الذي ما يزال حاضرا في الكثير من المجتمعات المعاصرة.

إن أهمية الإنسان حسب راسل تبقى الأولوية القصوى لكل بحث علمي وتجمع بشري فالإنسانية الحقيقية هي تلك التي تزودنا فعلى الإنسانية اليوم أن تنظر لكل شيء من زاويته المستقبلية لأن خلق الرؤى الجديدة هو الذي سيفتح أفاق التغير الصحيح، فتاريخ البشرية منذ لحظة ميلادها الأولى كان يعتمد على النظرة المستقبلية بداية من الغاية الأولى وهي فهم الطبيعة إلى أقصى غاياته اليوم وهي فهم الإنسان وطبيعته.

إن العالم اليوم في حاجة لذلك الانسجام بين متطلبات المجتمع وأفاق العلم وبمجرد تحقق هذه الغاية سيعمل الإنسان على فتح المجال أمام مجال الفن والأدب في التطور والنمو وسيجعل من الإنسانية تصل لأقصى قيمها الروحية.

قائمة المراجع:

- برتراند راسل: في مدح الكسل- ترجمة رمسيس عوض- المركز القومي للترجمة- الطبعة الثانية - 2009

- برتراند راسل: فلسفتي كيف تطورت- ترجمة عبد الرشيد الصادف محمودي- المركز القومي للترجمة- الطبعة الأولى- 1960

- برتراند راسل: الدين و العلم- ترجمة رمسيس عوض –دار الهلال
- برتراند راسل: أثر العلم في المجتمع-ترجمة صباح صديق الدمولوجي-المنظمة العربية للترجمة-بيروت-2008
- برتراند راسل: النظرة العلمية-ترجمة عثمان نويه-دار المدى للثقافة و النشر-بيروت-2008
- برتراند راسل: هل للإنسان مستقبل-ترجمة سمير عبده – دمشق- 1969
- A.C.Grayling : A Very Short Introduction Oxford Mais 2002